من أسرار تنوع القراءات
في آيات من سورة الكهف

دكتور

سلامة جمعة علي داود

عميد كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد الثالث والثلاثون)

من أسرار تنوع القراءات في آيات من سورة الكهف

سلامة جمعة علي داود

أستاذ، قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، إيتاي البارود، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: Salamadaoud.2.34@azhar.edu.eg

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد، فهذه كلمات يسيرة هي حصاد النظر الكليل لفقه شيء من أسرار تنوع القراءات في آيات من سورة الكهف، وتشمل اثنتي عشرة قراءة من القراءات المتواترة فيها والقراءات الشاذة في قول الله جل جلاله:

١- "كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ " (الكهف ٥)

٢- "وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ "(الكهف ١٨)

٣-"قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً"(الكهف ٢١)

٤- " وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً" (الكهف ٢٦)

٥- " وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ " (الكهف ٢٨)

٦- "وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً"(الكهف٣٦)

٧- " وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ " (الكهف٤٣)

٨- " هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ " (الكهف ٤٤)

٩- " فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ "(الكهف٤٥)

١٠- " وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ " (الكهف٤٧)

١١- " وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً " (الكهف٤٧)

١٢- " وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً " (الكهف٤٧)

وأسأل الله جل وعلا أن يمنحها التوفيق والقبول.

الكلمات المفتاحية: البلاغة القرآنية – سورة الكهف – القراءات المتواترة– القراءات الشاذة

Among the Secrets of the Diversity of Readings in Verses from Surat Al-Kahf

Prof / Salama Gomaa Ali Dawoud,
Professor, Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Itay El-Baroud, Arab Republic of Egypt
Salamadaoud.2.34@azhar.edu.eg

Abstract: Praise be to God, Lord of the worlds, and may God’s prayers be upon our master Muhammad, his family, and all his companions, and yet, these are easy words that are the harvest of the blessed consideration of one of the secrets of the diversity of the recitations in verses from Surat Al-Kahf, and it includes twelve recitations from frequent recitations in it and irregular readings in some verses of Surat Al-Kahf:

Key words: Quranic rhetoric - Surat Al-Kahf - Frequent Recitations - Anomalous Recitations

من أسـرار تنـوع القـراءات
في آيات من سورة الكهف

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد، فهذه كلمات يسيرة هي حصاد النظر الكليل لفقه شيء من أسرار تنوع القراءت في آيات من سورة الكهف، وتشمل اثنتي عشرة قراءة من القراءات المتواترة فيها والقراءات الشاذة، وأسأل الله جل وعلا أن يمنحها التوفيق والقبول .

١- قول الله جل وعلا "**وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً. مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَالِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً**" (الكهف٤،٥).

قرأ الجمهور "**كَلِمَةً**" بالنصب على التمييز لإفادة التعجب من كِبَرِ هذه الكلمة، وهي قولهم " **اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً** "، وقرأ ابن محيصن والحسن " **كَلِمَةٌ** " بالرفع فاعل "**كَبُرَتْ** "، أى: كَبُرَتِ الكلمةُ[١].

وقراءة الجمهور " **كَلِمَةً** " بالنصب تفيد معنيين:

المعنى الأول: الإيضاح بعد الإبهام، فكلمة " **كَبُرَتْ** " أفادت كِبَرَ شيء ما وضخامته وبلوغه مبلغا عظيما، ومن شأن الإبهام أن يثير الشوق إلى إيضاحه وبيانه وكشف الغطاء عن مراده، فجاء لفظ "**كَلِمَةً**" موضحا لهذا الإبهام؛ فدخل النفس وهى على شوق إليه وترقب.

المعنى الثاني: إفادة التعجب، أي تَعَجُّبُ الحق جل وتقدس من هذه الكلمة التي خرجت من أفواههم وهى قولهم " **اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً**"؛ لأن هذه الكلمة بلغت مبلغا عظيما في الكذب، فهى كذب محض خالص، والكذب على الله جل وتقدس أبشع الكذب؛ ولذا تكرر التحذير من افتراء الكذب على الله جل وعلا،

(١) ينظر لطائف الإشارات لفنون القراءات لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) تحقيق عبد الرحيم الطرهوني ١٣٢/٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ط أولى ٢٠١٣ م .

كما في قوله تعالى "**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً** "(الأنعام ٢١، ٩٣، هود ١٨، العنكبوت ٦٨)، وإذا كان الكذب على الناس من آيات النفاق فإن الكذب على الله تعالى أبشع وأشنع؛ لأنه جرأة على الله تعالى واستخفاف بحقه جل وتقدس، ولا ريب في أن هذه الكلمة الكذوب التي قالوها، وهى قولهم "**اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً** " كلمة لا أصل لها، وهي ظاهرة البطلان؛ ومع ذلك أبطلها الله جل جلاله بحجة لاتقبل الجدال، وهى أنها قول بلا علم ولا دليل ولا بينة، والقول الذي لايُبْنَى على علم ولاعلى دليل ولاعلى بينة قول باطل ترفضه العقول السليمة؛ لأنه يخالف منطق العقل السليم الذي لايقبل إلا ماكان مبنيا على علم وبينة، وقد أبطل الله جل وعلا هذه الكلمة بثلاث جمل، رأسها قوله "**مَّالَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَالِآبَائِهِمْ** "؛ فهو كلام بلا علم، لا منهم ولامن آبائهم؛ وفي هذا دعوة إلى أن لانقبل قولا إلا إذا كان مدروسا ومبنيا على علم ومعرفة وبصيرة، ثم جاءت الجملتان بعد ذلك أولاهما تعجب من هذه الكلمة الكاذبة الخاطئة "**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ** "، والثانية إخبار بأن هذا القول ما هو إلا كذب، هكذا بأسلوب القصر "**إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً** "، أي: ما يقولون إلا كذبا.

أما قراءة ابن محيصن " **كَبُرَتْ كَلِمَةٌ** " برفع " **كَلِمَةٌ** " على أنها فاعل، فهى تدل على أن هذه الكلمة الشنيعة وهى قولهم " **اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً** " كَبُرَتْ من نفسها وتضخمت لسوئها وبطلانها، فهى كلمة الكفر والكذب على الله سبحانه، وهى مع ذلك تكبر من نفسها وتنمو وتفشو وتتعاظم وتَشِيعُ وتُضِلُّ الناس، ولكنها مع ذلك لاتَثْبُتُ إذا مَحَّصَها العقلُ السليم، فسَرْعان ما تنهار وتسقط سقوط الباطل حين يَدْمَغُهُ الحق .

قال ابن جني "سَمَّى قولهم: "**اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً** " – كما سمَّوا القصيدة وإن كانت مائة بيت – "كلمةً"، وهذا كوضعهم الاسم الواحد على جنسه، كقولهم: أهلك

الناسَ الدرهمُ والدينارُ، وذهب الناسُ بالشاة والبعير " [1]، وعلى هذا فإطلاق "كلمة" على هذه الجملة المكونة من ثلاث كلمات مجاز مرسل علاقته الجزئية ووراءه دعوة إلى تحري صحة الكلمة وسدادها ودقتها لأنها خطيرة، فالإيمان بكلمة والكفر بكلمة والوفاء بكلمة والخيانة بكلمة والإصلاح بكلمة والإفساد بكلمة، قال تعالى "**يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَاقَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ** " (التوبة٧٤) .

وقوله تعالى " **مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ** " يدعوهم إلى أن يُثْبِتُوا هذه الكلمة الكذوب بالحُجَّةِ الناهضة، وهذا هو سبيل إبطال الفكر؛ لأن إبطال الفكر يكون بالفكر لا بقوة السلاح . ونفيُ العلم عنهم وعن آبائهم يعني أن آباءهم ضلوا، وهم ضلوا كما ضل آباؤهم، وهكذا تتوارث الأجيال الكلمة الكذوب وهى قولهم " **اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً** "، ولاتزال تتوارثها أجيال الكفر والضلال، فهى كلمة موغلة في الكفر والضلال، طوت الزمان والأجيال ولا تزال تخرج من أفواههم بلا علم ولا دليل ولا برهان، وهى كلمة تُزَلْزِلُ الكونَ كُلَّهُ من شدة شناعتها وكذبها، قال الله جل وعلا " **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً . تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً . أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً. وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً**" (سورة مريم ٨٨-٩٢) .

٢- قوله تعالى "**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً" (الكهف ١٨)** .

في كلمة " **وَنُقَلِّبُهُمْ** " ست قراءات:

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح ابن جني ٢/ ٢٤ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م ٠

القراءة الأولى: قراءة الجمهور "**وَنُقَلِّبُهُمْ**" بنون العظمة المضمومة، واللام المشددة المكسورة [١]، والفاعل ضمير مستتر تقديره " نحن " عائد على الله جل جل جلاله، وهذا الإسناد حقيقي يدل على مزيد العناية بأمر أصحاب الكهف لأن الله جل وعلا هو الذي يتولى بنفسه تقليبهم ذات اليمين وذات الشمال[٢].

القراءة الثانية: قراءة شاذة، وهي قراءة الحسن " **وَيُقَلِّبُهُمْ** " بالياء مع اللام المشددة المكسورة، والضمير لله تعالى، وقيل للمَلَك "[٣]"، وهذه القراءة كالقراءة الأولى في إسناد الفعل إلى الضمير العائد على ذي الجلال مع تشديد الفعل، وقيل إن الضمير يعود على " المَلَك " كما قيل في القراءة الأولى، إلا أن هذه القراءة الثانية تفترق عن القراءة الأولى في أن قراءة الجمهور بنون العظمة إخبارٌ من ذي الجلال عن نفسه جل وتقدس، وهذه القراءة الثانية بياء المضارعة جارية على أسلوب الغيبة الذي جرت عليه الأفعال في قوله "**يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً**" (الكهف ١٦)، وقوله " **مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً** " (الكهف ١٧)، فالأفعال (**يَنشُرْ – يُهَيِّئْ – يَهْدِ – يُضْلِلْ**) كلها بياء المضارعة على أسلوب الغيبة، أما قراءة الجمهور بنون العظمة " **وَنُقَلِّبُهُمْ** " ففيها التفات من الغيبة في قوله (**يَنشُرْ – يُهَيِّئْ – يَهْدِ – يُضْلِلْ**) إلى التكلم في " **وَنُقَلِّبُهُمْ** " اهتماما وعناية بأمر هذا التقليب الذي لولاه لفسدت أجساد أصحاب الكهف وأصابها

---

(١) ينظر لطائف الإشارات ١٣٥/٣ .

(٢) ينظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ت صدقي محمد جميل ١٥٣/٧ دار الفكر – بيروت ١٤٢٠ هـ .

(٣) ينظر الكشاف للزمخشري ٢/ ٤٧٥ ط مصطفى الحلبي ط أخيرة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ وروح المعاني للألوسي ٨/ ٢١٤ ط دار الكتب العلمية ط أولى ١٤١٥ هـ والمغني في القراءات لمحمد بن أبي نصر بن أحمد الدهان النَّوْزَاوَازِيّ (أحد علماء القرن السادس الهجري) ١١٥٤/٣ ت د محمود بن كابر الشنقيطي نشر الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه سلسلة الرسائل العلمية ٤٩ ط أولى .

العطب لعدم تقليبهم على ظهورهم وجنوبهم؛ فالتقليب ضَمِنَ لأجسادهم السلامة؛ ففي قراءة الجمهور مزيد عناية بهذا الفعل من طريقين: إسناده إلى الله جل جلاله، وأسلوب الالتفات من الغيبة إلى التكلم .

القراءة الثالثة: قراءة شاذة، وهي قراءة الحسن أيضا "**وَيَقْلِبُهُمْ**" بالياء المفتوحة والقاف الساكنة واللام المخففة المكسورة، والضمير لله تعالى وقيل للمَلَك[(١)] وهي أخت قراءة الحسن السابقة "**وَيُقَلِّبُهُمْ**" بالياء مع اللام المشددة المكسورة، والضمير لله تعالى، وقيل للمَلَك، وتفترق عنها في أنها من الفعل الثلاثي "قَلَبَ" الذي مضارعه " يَقْلِبُ " بالتخفيف، أمام قراءة الحسن السابقة " **وَيَقْلِبُهُمْ** " فهي من الفعل الرباعي المضعف العين "قَلَّبَ" الذي مضارعه "يُقَلِّبُ" بضم ياء المضارعة وتضعيف العين .

القراءة الرابعة: قراءة الحسن " **وَتَقْلِبُهُمْ** " بتاء مفتوحة وقاف ساكنة ولام مخففة مكسورة، مضارع " قَلَبَ " مخففا [(٢)]، قال في الدر المصون " وقرأ عكرمةُ «وتَقْلِبُهم» بتاءِ التأنيثِ مضارعَ «قَلَب» مخففاً، وفاعلُه ضميرُ الملائكةِ المدلولِ عليهم بالسِّياقِ [(٣)]، وعود الضمير على الملائكة وإن لم يجر لهم ذِكْر شجاعةٌ من شجاعة العربية؛ لأن الأصل في الضمير أن يعود على مذكور سابق؛ فإن لم يكن له مذكور سابق كان ذلك موقظا ومثيرا للانتباه، وكأن أمر هؤلاء الفتية كان موكولا كله إلى الله جل جلاله، يتولاه بنفسه سبحانه كما في القراءات الثلاث:

قراءة الجمهور "**وَنُقَلِّبُهُمْ**" بنون العظمة المضمومة، واللام المشددة المكسورة.

وقراءة الحسن – وهي شاذة – " **وَيُقَلِّبُهُمْ** " بالياء مع اللام المشددة المكسورة، والضمير لله تعالى .

---

(١) روح المعاني للألوسي ٨/ ٢١٤ ٠

(٢) ينظر المغني في القراءات ٣/ ١١٥٤ ولطائف الإشارات ٣/١٣٥ وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ٣٦٤ ٠

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٧/ ٤٦٠ ٠

قراءة الحسن – وهي شهذة أيضا – " **وَيُقْلِبُهُمْ** " بالياء المضمومة والقاف الساكنة واللام المخففة المكسورة، والضمير لله تعالى .

هذه القراءات الثلاث بإسناد التقليب فيها إلى ذي الجلال سبحانه تدل على مزيد العناية بأمر أصحاب الكهف لأن الله جل وعلا هو الذي يتولى بنفسه تقليبهم ذات اليمين وذات الشمال، حفاوة بهم وحبا لما صنعوا وترغيبا في الاقتداء بهم في الفرار بالدين عند طغيان الطواغيت واشتداد الفتن .

وبناء على أن الفاعل هو الملائكة فبين هذه القراءة وقراءة الجمهور فرق في صيغة الفعل من حيث التخفيف والتشديد، فلمَّا أُسْنِدَ الفعلُ في قراءة الجمهور إلى ضمير ذي العظمة وابتدىء الفعل بنون العظمة " **وَنُقَلِّبُهُمْ** " شُدِّدَ الفعلُ لمناسبة إسناده إلى ذي الجلال، ولمَّا أُسْنِدَ الفعل في قراءة الحسن وعكرمة " **وَتَقْلِبُهُمْ** " إلى الضمير العائد على الملائكة خُفِّفَ الفعل للتفريق بين تقليب الله جل جلاله وتقليب الملائكة. والله تعالى أعلم .

وذكر الألوسي في قراءة عكرمة " وتَقْلِبُهُمْ " وجها آخر حاصله " أنها على تقدير: وأنت تقلبهم، وجَعْل الجملة حالا من فاعل تَحْسَبُهُمْ، وفيه إشارة إلى قوة اشتباههم بالإيقاظ بحيث إنهم يحسبون إيقاظا في حال سبر أحوالهم وقلبهم ذات اليمين وذات الشمال" [١]؛ وهذا التوجيه مبني على أساس أن فاعل "تَقْلِبُهُمْ " هو الله جل جلاله، وهذا يعني أن جملة " ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال " قيد في جملة " وتحسبهم أيقاظا وهم رقود " أي: تحسبهم أيقاظا وهم رقود في هذه الحال وهي تقليب الله إياهم ذات اليمين وذات الشمال .

القراءة الخامسة: قراءة شاذة، وهي قراءة عمران بن حُضَيْر ومعاذ بن جبل "**وَتَقَلُّبَهُمْ** " على المصدر منصوبا بفعل مضمر يدل عليه قوله "**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً**"، كأنه قيل: وترى وتشاهد تَقَلُّبَهُم[٢]، وفي هذه القراءة معنى جديد وهو

(١) روح المعاني للألوسي ٨/ ٢١٤ .

(٢) ينظر الكشاف ٢/ ٤٧٥ والمحتسب ٢٦/٢ والمغني في القراءات ٣/ ١١٥٤ .

أن تقلب أصحاب الكهف في كهفهم كان ظاهرا ظهور الشمس التي تراها العين وهي تميل عن كهفهم عند طلوعها ولاتقربهم عند غروبها، فكما ترى العين ذلك ترى تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال .

القراءة السادسة: "وتَقَلُّبُهُمْ" بالرفع، رويت عن الحسن أيضا، وهو على الابتداء والخبر ما بعده، أو محذوف أي: آية عظيمة، أو من آيات الله تعالى(١)، وهذه القراءة فيها دلالة جديدة ليست في القراءات الخمس، وهي الدلالة على ثبوت التقلب ودوامه، يعني أن أصحاب الكهف كانوا وهم رقود في تقلب ثابت دائم لا ينقطع، فكلما نظر إليهم ناظر رآهم في هذه الصورة وهي التقلب مع أنهم رقود، وثبوت التقلب ودوامه وعدم انقطاعه لحظة واحدة آية عظيمة من آيات الله تعالى؛ فهم رقود ولكنهم يختلفون عن الرقود بدوام تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، وهذا التقلب الثابت الدائم يفسر قوله جل وعلا في الجملة السابقة " وتحسبهم أيقاظا "؛ أي تحسبهم أيقاظا لدوام تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال؛ لأن هذا الدوام هو شأن اليقظان لا شأن النائم؛ لأن عادة النائم أن يتقلب ثم ينقطع تقلبه فترة من الزمن، ثم يتقلب، ثم ينقطع تقلبه فترة من الزمن، وهكذا دواليك، أما أن يكون النائم دائم التقلب فهذا شيء ينافي النوم فيما جرت به العادة ويخرج عن المألوف الذي عليه أمر الناس، وتلك آية عظيمة من آيات الله جل وعلا، أن يخرق ناموس النوم بدوام التقلب، ولا شك في كثرة الناظرين إلي أصحاب الكهف الذين عاينوا هذه المعجزة تعني تفرق رؤيتهم بتفرق دخولهم عليهم ونظرهم إليهم في الكهف زرافات ووحدانا، وهذا يعني ثبات التقلب ودوامه؛ حتى يراهم كل ناظر في كل وقت وهم ثابتون على هذه الصورة رقود متقلبون دائما، فلو وفد عليهم وافد في لحظة من ليل أو نهار فرآهم لا يتقلبون لما حسبهم أيقاظا، وقد قطعت الجملة السابقة بأن كل من يراهم يحسبهم أيقاظا، تلك هي الدلالة التي انفردت بها هذا القراءة عن

---

(١) روح المعاني للألوسي ٨/ ٢١٤ ٠

القراءات الخمس السابقة التي توافقت كلها على التعبير بالفعل تعبيرا ملفوظا = في القراءة المتواترة " ونُقَلِّبُهُمْ " وفي القراءت الثلاث الشواذ (ويُقَلِّبُهُمْ – ونَقْلِبُهُمْ – ويَقْلِبُهُم) = أو مقدرا في الاسم المنصوب بفعل محذوف يفسره " وتحسبهم " في قراءة " وتَقَلُّبَهُمْ " والتقدير: وترَى تَقَلُّبَهُمْ؛ والفعل المضارع يدل على التجدد، وهذا التجدد يلزم عنه الانقطاع لفترة من الوقت طالت أو قصرت، وهذا يعني أن من ينظر إليهم ويراهم في فترة الانقطاع التي ذكرت بعض الأقوال أن تقلبهم كان مرتين في العام، وذكر بعضها أنهم كانوا يقلبون في كل ستة أشهر مرة "[١] "، من ينظر إليهم في فترة الانقطاع عن التقلب لا يحسبهم أيقاظا لأنهم لم يكونوا يتقلبون حين نظر إليهم، ويمكن التوفيق بين قراءات التعبير بالفعل المضارع وقراءة التعبير بالاسم بتأويل دلالة المضارع هنا على الثبوت والدوام حتى تتناسب مع قوله تعالى "وتحسبهم أيقاظا "؛ ومعنى الثبوت والدوام هنا يقتضيه مقام المعجزة لإفادة عدم انقطاع رؤية تقلبهم؛ حتى يراها كل ناظر في كل وقت شاء من ليل أو نهار . والله تعالى أعلم .

ودلالة المضارع على الثبوت والدوام كدلالة الاسم نبه عليها الإمام الطبري والعلامة جار الله الزمخشري في تأويل قول الله تعالى "الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ " (الرعد٢٨) أي ومن صفاتهم الثابتة إطمئنان قلوبهم بذكر الله، وفي تأويل قول الله جل وعلا " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ "(الحج٢٥) أي ومن صفاتهم الثابتة الصد عن سبيل الله، قال الزمخشري " الصدود منهم مستمر دائم، كما يقال: فلان يحسن إلى الفقراء وينعش المضطهدين، لا يراد حال ولا استقبال وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه والنعشة في جميع أزمنته وأوقاته"[٢] .

(١) ينظر روح المعاني ٨/ ٢١٤ ٠

(٢) الكشاف ٣/ ١٠ بتصرف وينظر تفسير الطبري ١٧ / ١٣٨ ط دار الحديث بالقاهرة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م٠

٣- قوله تعالى " **وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَارَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً** "(الكهف ٢١)، قرأ الجمهور "**غَلَبُوا** " بالبناء للفاعل، وقرأ الحسن " **غُلِبُوا** " بالبناء للمفعول[١] .

أيقظ الله جل وعلا أصحاب الكهف بعدما رقدوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا، وشاهَدَ ذلك عامَّةُ المؤمنين كما شاهده وُلاةُ الأمر في زمانهم؛ فاستيقنوا أن الله جل جلاله قادرٌ على بعث الموتى للحساب يوم القيامة كما بعث أصحاب الكهف بعدما لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا؛ فأجمع الولاة ومن بيدهم السلطة والملك على أن يبنوا عليهم عند باب الكهف مسجدا ليكون مُصَلًّى؛ تبركا بأصحاب الكهف، وكان ذلك جائزا في زمانهم، كما أجمع على ذلك عامة المؤمنين الذين رأوا ذلك، والقراءتان " **غَلَبُوا** " بالبناء للفاعل، و" **غُلِبُوا** " بالبناء للمفعول في قوله جل وعلا " **قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً** " تصوران هذا الإجماع، فقراءة البناء للفاعل " **غَلَبُوا** " تعني الولاة ومن بيدهم السلطة والحل والعقد في البلاد، وهم الذين أخذوا القرار ببناء المسجد على أصحاب الكهف، وقراءة البناء للمفعول " **غُلِبُوا** " تعني عامة المؤمنين في زمانهم، فقد قالوا نبني عليهم مسجدا، وإن لم يكن القرار بأيديهم، فحصل من الجمع بين القراءتين إجماع أهل زمانهم على ذلك، الولاة وعامة المؤمنين في تلك البلدة، أجمعوا على أن يبنوا عليهم مسجدا تخليدا لتلك المعجزة الدالة على قدرة الله جل جلاله على إحياء الموتى وبعثهم يوم القيامة. والله تعالى أعلم.

٤- قوله تعالى " **وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً. قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً** " (الكهف ٢٥، ٢٦)

---

(١) ينظر لطائف الإشارات ١٣٦/٣ .

قرأ الجمهور "**وَلَا يُشْرِكُ**" بالياء في أول المضارع ورفع الفعل على أن "لا" نافية.

وقرأ ابن عامر " **وَلَا تُشْرِكْ** " بالتاء في أول المضارع وجزم الفعل بالسكون على أن " لا " ناهية، ووافقه الحَسَنُ والمطوعي(١)، والقراءتان متواترتان.

قراءة الجمهور " **وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً** " تجري على أسلوب الغيبة الذي جرت عليه الآية الكريمة في قوله جل وعلا " **قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَالَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ** "، فهذه الجمل متفقة كلها في الإخبار عن ذي الجلال سبحانه بضمير الحكاية على أسلوب الغيبة، وفاعل "**وَلَايُشْرِكُ**" على هذه القراءة هو الضمير المستتر العائد على الله جل وعلا، والمعنى أن الله جل جلاله لا يُشْرِكُ في قضائه أحدا من أهل السماوات والأرض؛ فالحُكْمُ حُكْمُهُ، والقضاءُ قضاؤهُ، والأمرُ أمرُه، وقراءة ابن عامر ومن وافقه "**وَلَا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَداً**" المخاطب فيها هو الإنسان، والمعنى: "لا تُشْرِكْ أنتَ أيها الإنسانُ، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب"(٢)، وفي الالتفات إلى الخطاب هنا مواجهة للإنسان بالخطاب المباشر من الله جل جلاله بالنهي الصريح عن الشرك، فالله جل جلاله يقول لك أيها الإنسان " **لَا تُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَداً** "، وفي هذا مزيد عناية بالنهي عن الشرك حين يستحضر الإنسان أنه واقف بين يدى ربه وأن الله جل جلاله ينهاه عن أن يشرك به شيئا، ولاريب في أن مواجهة المخاطَب بالأمر والنهي ألزم له وآكد في التسجيل وإقامة الحجة عليه .

ويلاحظ أن فرار أصحاب الكهف بدينهم من الشرك هو رأس الأمر في قصة أصحاب الكهف، وهو الوصية الأخيرة التي يخبر بها الحق جل جلاله عن

---

(١) ينظر لطائف الإشارات ١٣٧/٣ والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني ٥/ ١٤١ ط دار المأمون للتراث دمشق ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م.

(٢) ينظر لطائف الإشارات ١٣٧/٣ .

نفسه على قراءة الجمهور ، وينهى سبحانه الإنسان عن الشرك نهيا مباشرا على قراءة ابن عامر ومن وافقه .

وقوله جل شأنه " **مَا لَهُم مِّن دُونِـهِ مِن وَلِـيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِـهِ أَحَداً**" هو ختام الحديث عن قصة أصحاب الكهف، ليكون هو المعنى الأخير الذي يقرع القلوب ويبقى فيها، كما كان هو المعنى الأول الذي قرع القلوب في قصتهم: " **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِـهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً . هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِـهِ آلِهَـةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً** " (الكهف ١٣ – ١٥) .

وبهذا يُرَدُّ عجزُ القصة على صدرها، ويلتئم أولها وآخرها . والله تعالى أعلم.

٥- قوله جل جلاله " **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** " (الكهف ٢٨) .

" قرأ الجمهور " **وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ** " بفتح التاء وسكون العين وضم الدال، و"عيناك " مرفوع بالألف على الفاعلية، ومفعوله محذوف، تقديره: وَلَاتَعْدُ عَيْنَاكَ النَّظَرَ .

وقرأ الحسن " **وَلَا تُعَدِّ عَيْنَيْكَ عَنْهُمْ** " بضم التاء وفتح العين وكسر الدال مشددة من عَدَّاهُ بالتشديد، و" عينيك " منصوب بالياء على المفعولية " "[1] .

(١) لطائف الإشارات ١٣٨/٣، " ومناسبة نزول هذه الآية أن قوما من رؤوساء الكفار قالوا لرسول الله ﷺ: نَحِّ هؤلاء الموالي الذين كأن ريحهم ريح الضأن، وهم صُبهَيب وعَمَّار وخَبَّاب وغيرُهم من فقراء المسلمين، حتى نُجَالِسَكَ؛ فأمره الله تعالى أن يَحْبِسَ نَفْسَه مع هؤلاء الفقراء من المسلمين؛ لأنهم يذكرون ربهم في كل وقت، وأن لاتتجاوزهم عيناه وتنبو عنهم لرثاثة زِيِّهِم، طموحا إلى زِيِّ الأغنياء وحُسْنِ شارتِهم " (الكشاف ٢/ ٤٨١، ٤٨٢ بتصرف) .

والفرق بين القراءتين في الإسناد، فهو إسناد مجازي على قراءة الجمهور؛ حيث أُسْنِدَ الفعل " **تَعْدُ** " إلى العينين في قوله " **وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ** "، بمعني لا يجاوز نظرُك عنهم، والعينان ليسا الفاعل الحقيقي للمجاوزة، وإنما هما الموضع الذي به النظر، ففي الإسناد مجاز عقلي، وكأن النهي موجه إلى العينين ذاتهما بأن لا تتجاوزا النظر عن فقراء المسلمين لرثاثة زيهم إلى النظر إلى رؤوساء المشركين لحسن زيهم ومظهرهم، والعين من ذاتها تتوق إلى المنظر الحسن والهيئة الطيبة، ولذا تتجاوز إليهما مباشرة وتقع عليهما تاركة ما دونها، المجاز العقلي يجعل العينين هما المتحكمتين في النظر؛ ولذا توجه النهي عن مجاوزة النظر إليهما .

وقراءة " **وَلَا تُعَدِّ عَيْنَيْكَ عَنْهُمْ** " الإسناد فيها حقيقي، أُسْنِدَ الفعل "**تُعَدِّ**" إلى فاعله الحقيقي، وهو الضمير المستتر العائد على الرسول ﷺ؛ لأنه هو المخاطَبُ، والأمةُ مخاطَبَةٌ من ورائه ﷺ، كل فرد من أمته مأمور بأن يحبس نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، أى مع أهل الإيمان والذكر المداومين على طاعة الله جل جلاله، وكل فرد من أمته ﷺ مَنْهِيٌّ عن أن يتجاوز بنظره أهل الإيمان والذكر بسبب فقرهم ورثاثة حالهم إلى أهل الكفر والمعصية لحسن مظهرهم ورياشهم . المهم أن الإسناد في هذه القراءة حقيقي؛ لأن النهي ليس موجها إلى العينين بل إلى الذات التي تُحَرِّكُ العينين بإرادتها فتُصْدِرُ لهما الإِذْنَ بالنظر أو بعدم النظر .

والقراءتان تلتقيان؛ فالأولى تكبح جماح العينين عن النظر إلى غير أهل الإيمان والطاعة وذكر الله جل جلاله، والثانية تكبح جماح النفس التي بيدها لجام أعضاء الجسد، وبيدها زمام الإرادة، تكبح جماحَها عن أن تُصْدِرَ للعينين الإذن بالنظر إلى غير أهل الإيمان والطاعة وذكر الله جل جلاله .

٦- قول الله جل جلاله " **وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً**" (الكهف ٣٥، ٣٦) .

قال القسطلاني " اخْتُلِفَ في " **خَيْراً مِّنْهَا** ": فنافع وابن كثير وابن عامر، وكذا أبو جعفر، بزيادة ميم بعد الهاء على التثنية، وعود الضمير إلى " الجنتين " موافقة لمصاحف مكة والمدينة والشام، وافقهم ابن محيصن . وقرأ الباقون: بغير ميم، على الإفراد، وعود الضمير على " الجنة المدخولة "، وهي أقرب مذكور، وهي قوله "جنته " المفرد بعد ذكر التثنية اكتفاء بالواحد، للعلم بالحال، وهي موافقة لمصاحف الكوفة والبصرة "[١]، قال أبو علي الفارسي "الإفراد أولى من حيث كان أقرب إلى الجنة المنفردة من قوله: ودخل جنته وهو ظالم لنفسه، والتثنية لا تمتنع لتقدم ذكر الجنتين[٢] .

قراءة نافع ومن معه بضمير التثنية " **خَيْراً مِّنْهُما** " تدل على أن هذا الرجل لايزال يذكر أنه صاحب جنتين، ولا يزال يفتخر بامتلاكهما على الرغم من كفره وتكذيبه بالساعة ومراجعته لصاحبه الذي يحاوره، هو مع ذلك كله لايزال – عند نفسه – صاحب الجنتين اللتين لم تُسْلَبا منه، بل ولم تُسْلَبْ منه واحدةٌ منهما، ويرى أنه على فرض رجوعه إلى ربه يوم القيامة سيجد خيرا من هاتين الجنتين؛ يَدَّعِي بذلك أن له مكانةً عند ربه .

وقراءة الباقين بإفراد الضمير " **خَيْراً مِّنْهَا** "، يعود ضمير الإفراد إلى الجنة التي دخلها وهو ظالم لنفسه في قوله تعالى "**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ** "، ولما حاوره صاحبه فافتخر عليه واستعلى واستكبر وأعلن كفره لم يذكر القرآن الكريم في قصته عندئذ إلا جنة واحدة، ابتداء من قوله تعالى " **فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً . وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ** "، وكان هذا ابتداء سَلْبِ نِعَمِ الله تعالى عليه، وعلى هذا جاءت هذه القراءة بإفراد الضمير في قوله " **وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً** "، واستمرت قصته بإفراد الجنة في قوله تعالى: " **وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا**

---

(١) لطائف الإشارات ٣/١٤٠، ١٤١ .

(٢) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٤٤ .

قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً . فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً . أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً" (الكهف ٣٩ – ٤١)، كل هذا بإفراد الجنة إلى أن سُلِبَ هذه الجنة أيضا حين أُحِيْطَ بِثَمَرِهِ " **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً** "(الكهف ٤٢)، فخسر جَنَّتَى الدنيا بسبب كفره وكبره وغروره، وخسر أيضا جنة الآخرة .

قراءة إفراد الضمير في قوله " **خَيْراً مِّنْهَا** " تناسب إفراد الجنة التي لم يَثْبُتْ له في السياق غيرها منذ أعلن كفره وكبره وغروره إلى أن سُلِبَها وأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها .هذا والله تعالى أعلم.

٧- قول الله جل جلاله "**وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَاكَانَ مُنتَصِراً** " (الكهف ٤٣) .

قال القسطلاني " حمزة والكسائي، وكذا خلف، بالياء " **يَكُن** " على التذكير؛ إسنادا له إلى " الفئة "، وهو مؤنث غير حقيقي، وافقهم الأعمش، وقرأ الباقون بالتاء "**تَكُنْ**" على التأنيث اعتبارا للفظه" (١).

في كلمة " **تَكُنْ** " قراءتان:

القراءة الأولى: قراءة الجمهور " **تَكُنْ** " بتاء التأنيث "**وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ** "؛ اعتبارا للفظ فئة لأنه مؤنث، وفي التأنيث ضَعْفٌ؛ فدل ذلك على أنه لم تكن له فئة تنصره من دون الله تعالى حتى ولو كانت هذه الفئة ضعيفة، وإثبات التاء في صدر كلمة " **تَكُنْ** " كان إرهاصا بضعف هذه الفئة قبل أن يأتي ذكر لفظها.

والقراءة الثانية: قراءة حمزة والكسائي ومن وافقهما، وهي "**وَلَمْ يَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ** "، والياء في " يكن " دلت على أن اسم كان مذكر،

---

(١) لطائف الإشارات ٣/ ١٤٢ بتصرف .

وفي التذكير قوة، فكأن هذه الياء كانت إرصادا بقوة هذه الفئة، والتذكير هنا راعى أن " فئة " ليست مؤنثا حقيقيا، وإنما هي مؤنث مجازي، فيجوز في الفعل التذكير والتأنيث .

والحاصل من القراءتين أن صاحب الجنتين الذي كفر بالله سبحانه لم تكن له فئة تنصره من دون الله، سواء أكانت هذه الفئة ضعيفة كما في القراءة بالتاء في "تكن"، أم كانت قوية كما في القراءة بالياء في "يكن "؛ لأن كل من خذله الله تعالى فهو مخذول غير منصور، وإن ناصره كل من عليها، وكل من نصره الله تعالى فهو السعيد المنصور وإن خذله كل من عليها .

وفي قراءة الجمهور بالتأنيث " تكن " لطيفة؛ لأنهم رجعوا إلى التذكير في "ينصرونه "، ولو لزموا التأنيث لكانت قراءتهم: ولم تكن له فئة تنصره، فألمحوا بتأنيث " تكن " إلى ضعف الفئة، وبتذكير "ينصرونه " إلى قوتها، لتشمل القراءة المعنيين حين جمعت التأنيث والتذكير، وكأن تذكير " ينصرونه " يدل على أن هذه الفئة ليست أهلا لأن ينصروه؛ لأنها فئة ضعيفة والنصر يحتاج إلى قوة، أما قراءة حمزة والكسائي ومن وافقهما، وهي "**وَلَمْ يَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ**" فهي تسير على التذكير في أولها " يكن " وآخرها "ينصرونه" .

وفي الجمع بين القراءتين دلالة على أن هذا المخذول لن تنصره أية فئة: ذكورا كانوا أم إناثا، أما نُصْرَةُ الذكور فلأنهم أولو قوة وأولو بأس شديد، وأما نُصْرَةُ الإناث فإن المرأة – وإن كانت ضعيفة الجسم – قد تكون ملكة وبيدها الحل والعقد وتسيير الجيوش وزحف الزحوف؛ فباجتماع القراءتين ينتفي كلا الناصرين. والله تعالى أعلم .

٨- قول الله جل جلاله " **هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً**" (الكهف ٤٤) .

في قوله " **هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ** " موضعان للقراءات:

<u>الموضع الأول:</u> كلمة " **الْوَلَايَةُ** " قرأ حمزة والكسائي وخلف والأعمش بكسر الواو "**الْوِلَايَةُ** "، وقرأ الباقون بفتحها(١)، قال الزمخشري "بالفتح النُّصْرَةُ والتولّي، وبالكسر السُّلْطانُ والمُلْك"(٢).

ولكلتا القراءتين ما يَشُدُّ أَزْرَها، فقراءة فتح الواو بمعنى النصرة والتولي يَشُدُّ أَزْرَها أن الآية التي قبلها تنفي عن هذا المخذول النصرة والتولي، فلم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا، هذا المعنى هو الذي امتد منه قوله تعالى " **هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ** "، أى في هذا الموقف حين لاولي ولا ناصر إلا الله جل جلاله تكون النصرة والولاية لله الحق، فهو الولي النصير حيث لا ولي ولانصير، ولهذه القراءة ما يشد أزرها من حيث تجاوب السياق القرآني، وهي آيات كثيرة تثبت أن الولاية والنصرة يوم القيامة لا تكون إلا لله جل جلاله، كما في قوله تعالى:

" **إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** "(الأعراف١٩٦).

" **يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** " (الدخان٤١) .

وأما قراءة " **الوِلاية** " بكسر الواو بمعنى السلطان والملك، فهي تثبت أن أمر هذا المخذول الذي لم يعد له ناصر يوم القيامة من دون الله صار بين يدى صاحب الملك والسلطان الذي له الملك والأمر ولامعقب لحكمه، فهو مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ، قال جل شأنه "**يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** " (غافر١٦). وهكذا نجد لكلتا القراءتين مايشد أزرها .

<u>الموضع الثاني:</u> كلمة " **الْحَقِّ** " من قوله تعالى " **هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ** "، قرأ أبو عمرو والكسائي ووافقهما اليزيدي برفع " **الْحَقُّ** " على أنه صفة لكلمة " **الْوَلَايَةُ**" وهي مرفوعة، أو خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: ماأوحيناه إليك الحقُّ،

---

(١) ينظر لطائف الإشارات ٣/ ١٤٢ .

(٢) الكشاف ٢/ ٤٨٦ .

أو مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: الحقُّ ذلك . وقرأ الباقون بالجر صفة للاسم الجليل (١) .

أما قراءة الجر، وهي قراءة جميع القراء إلا أبا عمرو والكسائي واليزيدي على أن " الحق " صفة لاسم الجلالة، وهذا الوصف جاء في حاق موقعه؛ لأنه لما انتفى عن هذا الكافر المخذول أن يكون له من ينصره من دون الله تعالى، وانتفى أن يكون ناصرا لنفسه، لم يبق له ناصر إلا الله جل جلاله الذي لو شاء لنصره؛ ولكن وصفه جل جلاله بـ " الحقِّ " أفاد أنه جل جلاله لا ينصر إلا الحق ولايتولى إلا أهل الحق، كما أخبر عن نفسه فقال "**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ** " (البقرة٢٥٧)، فمن آمن بالله جل جلاله وكان من الصالحين فإن الله يتولاه وينصره ولايخذله؛ لأنه كان مع الله فكان الله معه، وحفظ الله فحفظه الله، ونصر الله فنصره الله، وفي وصفه جل جلاله بالحق معنى آخر، وهو أن هذا الكافر المخذول على الرغم من كفره فإن الله الحق سيوفيه جزاءه بالحق والعدل دون أن يظلمه، كما قال جل وتقدس " **ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ** " (الأنعام٦٢) "**يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ** " (النور٢٥) .

وأما قراءة أبي عمرو والكسائي واليزيدي برفع " الحق " فيحتمل توجيه الرفع أن يكون صفة للولاية، وفي هذا الوجه دلالة على أن الولاية والنصرة التامة الكاملة التي تستحق اسم الولاية لله جل جلاله؛ لأنها هي الولاية الدائمة التي لا خذلان بعدها، كما أنها ولايةُ مَنْ بيده كلُّ شيء ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِهِ، هي ولاية مالك يوم الدين، وإذا اجتمع في الولاية والنصرة هذان الأمران فهي الولاية الحق.

قال أبو علي الفارسي " ومن رفع " الحقّ " جعله صفة للولاية، ومعنى وصف الولاية بالحق أنه لا يشوبها غيره، ولا يخاف فيها ما يخاف في سائر الولايات

---

(١) ينظر لطائف الإشارات ٣ / ١٤٣ .

من غير الحق " [١]، فإذا أضيف إلى ذلك ما في يوم القيامة والدار الآخرة من أهوال وأفزاع، كانت الولاية هنالك هي الولاية، على أن ولايته جل وعلا للمؤمنين ليست مقصورة على الآخرة، بل هي ولاية في الدارين، كما قال جل وعلا على لسان سيدنا يوسف " **فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** " (يوسف١٠١) .

ويحتمل توجيه الرفع أن يكون " الحقُّ " مبتدأ وخبره محذوف، والتقدير: الحق ذلك، أو خبرا لمبتدأ محذوف، والتقدير: ذلك الحق، أو ما أوحيناه إليك الحقُّ، وعلى كلا الوجهين تكون كلمة " الحقُّ " جملة قامت على الإيجاز بحذف أحد ركنى الإسناد، وهي تعقيب على جملة " **هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ** " ببيان أن ذلك هو الحق الذي لا حق سواه، وفيها مزيد تقرير وتأكيد لمضمونها؛ لأنه إذا كان ذلك هو الحق الذي لا حق سواه وَجَبَ اتباعُه، وصار حقا على كل من عليها أن يسعى لأن يكون أهلا لولاية الله جل جلاله ونصرته يوم لا ولي سواه ولا ناصر غيره ولا ولاية إلا ولايتُه . والتعقيب الذي يأتي في أعقاب المعاني في الذكر الحكيم وفي كلام المصطفى ﷺ وفي الكلام العالي شعرا ونثرا مما ينبغي جمعُهُ وتدبُّرُ مواقعه، وتحديد المعاني التي كثرت هذه التعقيبات في إثرها، والمعاني التي لاتجيىء إلا وهذه التعقيبات ملازمة لها حتى كأنها صارت جزءا من بناء تلك المعاني، وكذلك تتبُّعُ المعاني التي قَلَّت التعقيبات بعدها، والمعاني التي لم يأت بعدها تعقيب إلا مرة واحدة، والمعاني التي قامت بذاتها واستقلت بنفسها فلم تحتج إلى تعقيب ولم يأت بعدها تعقيب .. وهذا باب ينبغي إحكامه في دراسة الجمل، وفي دراسة المعاني أيضا؛ لأنه قد يُذْكَرُ معنى مُكَوَّنٌ من عدة جمل تعقيبا على معنى قبله، وقد يكون هذا المعنى التعقيبي قِصَّةً كاملة ذات شخوص وأحداث وفصول وامتداد في نسق السورة وفي نسق القصيدة، وهذا باب واسع جدا وثَرِيٌّ جدا، يحتاج إلى صَبْرٍ وحُسْنِ إصغاء وتدبر لحركة

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٥٠ .

المعاني، أسأل الله جل جلاله أن يهيىء له من يَنْهَضُ بحَقِّهِ ويُمِيطَ اللثامَ عن حُرِّ وجهه .

بقي في هذا التعقيب لفتة، وهي أنه جاء ولاية وتأييدا ونصرا لمعنى انفراد الله جل جلاله في الآخرة بالولاية والتأييد والنصر، فكان التعقيب تأييدا على تأييد ونصرا على نصر وولاية بعد ولاية، وهذا من أَجَلِّ صور التجانس والتآلف والتناسب . والله تعالى أعلم .

وثمة وجه أخير يحتمله رفع " الحقُّ " – وإن لم يذكره القسطلاني في النص السابق– وهو أن يكون " الحقُّ " بالرفع صفة للاسم الجليل "الله"، وقُطِعَت الصفةُ إلى الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هنالك الولاية لله، هو الحقُّ، أى الله هو الحق، وبهذا تتحد القراءتان: قراءة الجر " الحقِّ " وقراءة الرفع " الحقُّ " في كونهما صفة " لله "، إلا أن قراءة الجر من وصف المفرد بالمفرد، وقراءة الرفع من وصف المفرد بالجملة؛ لأن تقديرها: هو الحقُّ، وحذف المبتدأ هنا كالواجب؛ لأن ذكره سيؤدي إلى تكرار الضمير "هو" تكرارا يُنَزَّهُ عنه بليغ الكلام فضلا عن التنزيل العزيز، لأن نسق الكلام سيكون: هنالك الولاية لله، هو الحق، هو خيرٌ ثوابا وخير عقبا .

وفي قطع الصفة من الجر إلى الرفع على هذا الوجه لَفْتٌ وإثارةٌ يوجبان مزيد الانتباه واليقظة عند سماع هذا الوصف " الحقُّ " لجلالة معناه وموقعه في بناء الجملة، وهذا القطع له مواقع ثرية جدا، ومن أشهر مواقعه في الشعر قول الخِرْنِق بيت بدر ابن هِفَّان:

لا يَبْعَدَنْ قَومِي الذينَ هُمُ — سُمُّ العُداةِ وآفَةُ الجُزْرِ
النّازلين بكلّ مُعْتَرَكٍ — والطّيّبون معاقدَ الأُزْرِ

قوله "النازلين" صفة لقوله "قومي" المرفوع بالفاعلية، ونصبت الصفة بفعل محذوف، والتقدير: أعني النازلين أو أمدح النازلين، ثم قطعت الصفة الثانية من النصب إلى الرفع فقالت " والطيبون " بتقدير: هم الطيبون [1] .

٩- قوله جل جلاله " **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً** " (الكهف ٤٥) .

في كلمة " **الرِّيَاحُ** " قراءتان:

قرأ حمزة والكسائي وخلف ووافقهم الأعمش " **الرِّيحُ** " بصيغة الإفراد، وقرأ الباقون " **الرِّيَاحُ** " بصيغة الجمع [2].

وفي توجيه القراءتين كلام جيد، حاصلُه أن جمع "**الرِّيَاحُ** " ناظرٌ إلى تَعَدُّدِ صفاتها، فمنها حارة وباردة، وعاصفة ولينة، ورحمة وعذاب، ومنها الجنوب والشمال، والصَّبا والدَّبُور، ومنها عقيم ومُلقحة، وصِرٌّ، ونصرٌ وهلاك ..إلخ، وإفرادها " **الرِّيحُ** " ناظرٌ إلى أن حقيقتها واحدة، يجمعها الاسم العام وهو أنها كلها "ريح "، دون نظر إلى تَعَدُّدِ صفاتها [3]، قال ابن عطية "وجاءت "وجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب، إلا في يونس في قوله تعالى " **وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ**" (يونس ٢٢)، وهذا أغلب وقوعها في الكلام، وفي الحديث " كان رسول الله ﷺ إذا هبت الريح يقول: اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا " [4]؛ وذلك لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنها

---

(١) ينظر خزانة الأدب للبغدادي شاهد رقم ٣٤١ ت عبد السلام هارون ط مكتبة الخانجي ط ثانية ١٩٨٤ م ٠

(٢) ينظر لطائف الإشارات ٢/١٩٥، ٣/ ١٤٣ ٠

(٣) ينظر السابق ٢/ ١٩٥،والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢٣٣ ٠

(٤) رواه الترمذي في أبواب الدعاء باب دعاء النبي ﷺ ٢٣ / ٦٥ وقال "حديث حسن صحيح "٠مطبوع بأعلى صحائف عارضة الأحوذي لابن العربي ط دار الكتب العلمية٠

جسم واحد، وريح الرحمة لينة متقطعة؛ فلذلك هي رياح .. وأُفْرِدَتْ مع الفلك لأن ريح إجراء السفن إنما هي واحدة متصلة، ثم وُصِفَت بالطِّيْبِ فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب" (١).

وقوله جل جلاله " **فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ** " هو آخر جملة في مَثَلِ الحياة الدنيا، وفيها الفناء الذي كتبه الله تعالى على كل من عليها، فالزرع الأخضر الوارف الذي اختلط وتغازر، نهايتُه " **فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ**"، فإذا نظرنا إلى أن الموت هو نهاية كل حي، والموت واحد مهما تعددت أسبابُه، فإن قراءة إفراد " **الرِّيَحُ** " تناسب هذا المعنى، والموت ريح قوية لا تذر شيئا أتت عليه إلا جعلته كالرميم، وإذا نظرنا إلى أن أسباب الموت متعددة، فالمرض من أسبابه، والطب من أسبابه، والحرب من أسبابه، والمرء يموت على فراشه حَتْفَ أنفِه، ويموت بسبب، ويموت بلا سبب، والموت من غير أسباب هو السبب، والأسقام التي يموت بها الإنسان كثيرة متعددة .. وهكذا، إذا نظرنا إلى تعدد أسباب الموت وجدنا أن قراءة الجمع "**الرِّيَاحُ** " تناسب هذا المعنى.

الحياة الدنيا بعد زينتها وبهجتها تصبح هشيما تذروه الرياح، والموت والفناء حَتْمٌ لازمٌ وقضاءُ مَنْ له المُلْكُ والأمرُ، والإنسان قد تتناوشه الدنيا في جهاتها فيكون موزَّع النفس، ويكون هلاكُهُ في أي واد من أوديتها، كمن هَبَّتْ عليه الرياحُ من كل جهة فكان هلاكُهُ فيها، وقد يعيش الإنسان آمنا من تناوش الدنيا غير موزَّع النفس، ثم هو لا يَسْلَمُ من الهلاك ولا يَفِرُّ من الموت . النهاية واحدة . والله تعالى أعلم .

١٠- " **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً** " (الكهف٤٧)، في الآية ثلاثة مواضع للقراءات:

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ١/ ٢٣٣ بتصرف

<u>الموضع الأول</u>: في قوله تعالى" **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ** " ست قراءات [١] قراءتان متواترتان، وهما: **الأولى:** " **وَيَوْمَ تُسَيَّرُ الْجِبَالُ** "، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وهي موافقة لما اتفق عليه في قوله " **وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ** " (النبأ ٢٠) [٢].

والثانية: "**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ**" وهي قراءة باقي القراء العشرة [٣]، قال أبو علي الفارسي " حجة من بنى الفعل للمفعول به فقال" **وَيَوْمَ تُسَيَّرُ الْجِبَالُ** " قوله " **وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ** " (النبأ ٢٠)، وقوله "**وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ** " (التكوير٣)، ومن قال " **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ** " فلأنه أشبه بما بعده من قوله "**وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً** ". فإن قلت: وقد جاء " **وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً** " (الطور ١٠)، ولم يجب على هذا أن يقال " **تَسِيرُ الْجِبَالُ** "[٤]، قيل: إنما قرئ على " **وَيَوْمَ تُسَيَّرُ الْجِبَالُ** " و" **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ** "، ولم يقرأ على غير هذين الوجهين، فكما أسند الفعل إلى المفعول به في قوله " **وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ** " (النبأ ٢٠) كذلك أسند إليها في قوله "**تُسَيَّرُ الْجِبَالُ** " [٥].

وفيها أربع قراءات من الشواذ، وهي:

الأولى: " **وَيَوْمَ يُسَيَّرُ الْجِبَالُ** "، وهي قراءة الحسن .

---

(١) ينظر في هذه القراءات عدا القراءة الأخيرة لطائف الإشارات ٣/ ١٤٤ والمحرر الوجيز لا بن عطية (المتوفى: ٥٤٢هـ): ٥٢٠/٣ ت عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ): ١٨٧/٧ ت صدقي محمد جميل دار الفكر – بيروت، والدر المصون للسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) ٧/ ٥٠٣ ت د أحمد محمد الخراط – دار القلم، دمشق ٠

(٢) ينظر لطائف الإشارات ٣/ ١٤٤ ٠

(٣) ينظر السابق ٠

(٤) يقصد أن هذه القراءة لم تأت في القراءات المتواترة، وقد جاءت في الشواذ من قراءة ابن محيصن " **وَيَوْمَ تَسِيرُ الْجِبَالُ** " كما سيأتي ٠

(٥) الحجة للقراء السبعة ٥/ ١٥١ بتصرف ٠

الثانية: " **وَيَوْمَ تَسِيْرُ الْجِبَالُ** "، وهي قراءة ابن محيصن .

الثالثة: " **وَيَوْمَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ** "، قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود .

الرابعة: " **وَيَوْمَ يَسِيْرُ الْجِبَالُ** "، وهي قراءة الهمذاني عن أبي عمرو(١).

ويمكن تقسيم هذه القراءات الست باعتبار بناء الفعل " نُسَيِّرُ " للفاعل وبناؤه للمفعول قسمين:

القسم الأول: القراءات التي بني فيها الفعل للفاعل، وهي ثلاث قراءات:

قراءة متواترة وهي: " **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ** "

وقراءتان شاذتان وهما: " **وَيَوْمَ تَسِيْرُ الْجِبَالُ** "

" **وَيَوْمَ يَسِيْرُ الْجِبَالُ** "

ويلاحظ أن القراءة المتواترة " وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ " الإسناد فيها حقيقي؛ لأن الفعل " نُسَيِّرُ " أسند إلى فاعله الحقيقي وهو الضمير العائد على ذي الجلال سبحانه، وتقديره "نحن"، وهذا مطابق للحقيقة والواقع؛ لأن تسيير جبال الأرض كلها في يوم واحد وفي وقت واحد وراءه قُدْرَةٌ قادرة، وليس لها إلا فاعل واحد عظيم مقتدر وهو الله جل جلاله، الذي عبر عن نفسه بنون العظمة في صدر الفعل "نُسَيِّرُ"، والجبال في هذه القراءة مفعول به وقع عليه فِعْلُ القَوِيِّ القادر جل جلاله الذي سَيَّرَها بنفسه، ولا عَمَلَ للجبال ولا أَثَرَ في إحداث الفعل.

والقراءتان الشاذتان في هذه الكلمة" **وَيَوْمَ تَسِيْرُ الْجِبَالُ** "،" **وَيَوْمَ يَسِيْرُ الْجِبَالُ**"، وهما وإن اتحدتا مع القراءة المتواترة في بناء الفعل للفاعل، إلا أنهما تفترقان عنها في إسناد الفعل في المتواترة إلى فاعله الحقيقي وهو الله جل جلاله، وإسناده إلى " الجبال " في القراءتين الشاذتين على سبيل المجاز العقلي الذي أُسْنِدَ فيه الفعل إلى غير فاعله الحقيقي، حيث أسند الفعل إلى "الجبال "، والجبال لا تسير من نفسها، وليست الفاعل الحقيقي للفعل، وإنما

---

(١) شواذ القراءات لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني من علماء القرن السادس الهجري ص ٢٨٩ ت شمران العَجْلي ط مؤسسة البلاغ بيروت لبنان.

هي الموضع أو المكان الذى يقع عليه الفعل، أى يقع عليه التسيير، فإسناد الفعل إليها مجاز عقلي علاقته المكانية، كما في قولك " سار الطريق " والطريق لا يسير، وإنما يسير عليه من يمشي فوقه، وهذا المجاز العقلي في القراءتين الشاذتين يصور أن الجبال كلها في هذا اليوم تسير وتتحرك من نفسها حركة ذاتية دون أن يُسَيِّرَها أحدٌ، وفي هذا هَوْلٌ مُفْزِعٌ، الجبال تتحرك وتَسِيرُ، ووراء هذا أنها استجابت لحكمة الحكيم جل جلاله، فسارت من نفسها، وتحركت لتُحْدِثَ هَولاً مَهُولًا يوم القيامة .

وبين القراءتين الشاذتين فرقٌ في تذكير الفعل وتأنيثه من أجل الفاعل، فالفاعل واحد وهو " الجبال "، ولكن الفعل قرىء في الأولى "تَسِيرُ " بالتاء الموافقة لتأنيث لفظ " الجبال " لأنها عند جمعها تصير مؤنثا، وإن كانت عند الإفراد مذكر، فيقال: هذا جبل بالتذكير، فإذا جُمِعَتْ قيل: هذه جبال، وقرىء في الثانية "يَسِيرُ " بالياء الدالة على أن " الجبال " وهي جمع غير عاقل عُومِلَتْ معاملة المذكر، وإذا كانت كتب النحو تقول إن جمع التكسير كالجبال يجوز تأنيث الفعل له وتذكيره، فإن التذكير والتأنيث لا يستويان في عطاء المعنى، بل لابد أن في كل منهما حِسًّا يختلف عن الآخر، وهل سَيْرُ المؤنث كسَيْرِ المذكر ؟ وهل سَيْرُ المرأة كسَيْرِ الرَّجُل؟ القراءة بالياء فيها إلماح إلى قوة السير، ثم إن الجبال التي الأصلُ فيها أن يؤنث لها الفعل عادت سيرتها الأولى، عادت إلى أصل صيغة المفرد المذكر "جبل" فذُكِّرَ لها الفعل فصارت القراءة " وَيَوْمَ يَسِيْرُ الْجِبَالُ " كما يَذَكَّرُ عند الإشارة إلى المفرد فيقال: هذا جبل، وهذا التغيير بتذكير الفعل مع أن الكلمةَ جَمْعٌ يناسب التغيير والانقلاب والخروج عن الإلف والعادة يوم القيامة، فهو يوم عجيب، تُبَدَّلُ فيه الأرضُ غَيْرَ الأرض والسماوات .. وهكذا .

القسم الثاني: القراءات التي بُنِيَ فيها الفعل للمفعول، وهي ثلاث قراءات:

قراءة متواترة وهي: " **وَيَوْمَ تُسَيَّرُ الْجِبَالُ** " .

وقراءتان شاذتان وهما: " **وَيَوْمَ يُسَيَّرُ الْجِبَالُ** "

" وَيَوْمَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ "

هذه ثلاث قراءات بالبناء للمفعول لتتعادل مع ثلاث قراءات بالبناء للفاعل فتصبح ثلاثا بثلاث، وفي كل من القسمين قراءة متواترة وقراءتان شاذتان، وتلك قسمة متساوية .

وفي هذه القراءات الثلاث بالبناء للمفعول أمران:

الأمر الأول: اختلاف القراءتين الأولى والثانية بالتذكير والتأنيث، وسبق الحديث عن هذا .

الأمر الثاني: انفراد القراءة الثالثة " وَيَوْمَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ " عن سائر القراءات الواردة في هذه الكلمة – سواءٌ منها ما بُنِيَ للفاعل وما بُنِيَ للمفعول – بالتعبير بالفعل الماضي " سُيِّرَتِ " مع أن القراءات الخمسَ كُلَّها بالفعل المضارع، وفي كل من المضارع والماضي لَمْحَةٌ ومعنى، فالمعنى في القراءات بالفعل المضارع – وهي خمس – استحضارُ صورةِ الجبالِ وهي تُسَيَّرُ يوم القيامة، وكأن السامع أو القارىء يراها رأى العين وينظر إليها ويشاهدها وهي تسير وتتحرك، والمعنى في القراءة بالفعل الماضي " وَيَوْمَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ " الدلالة على تحقق الوقوع، وأن هذه الجبال التي سَتُسَيَّرُ يوم القيامة كأنها قد سُيِّرَتْ بالفعل وأُخْبِرَ عنها كما يُخْبَرُ عن الأفعال الماضية والأحداث التي وقعت وقُضِيَ أمرُها، فحل الفعل الماضي محل الفعل المضارع ووقع موقعه؛ لأن إخبار الله جل جلاله بما سيكون إخبارٌ محقَّقٌ تَحَقُّقَ ما قد وقع وكان، ونظيره قوله جل وعلا " **أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَتَسْتَعْجِلُوهُ**" (النحل١) وأمر الله هو الساعة، والساعة لمَّا تأتِ بَعْدُ، ولكنها ستأتي لامحالة، فعبر الحق جل وتقدس بالماضي في موضع المضارع للدلالة على أن إتيان الساعة محقق، وأن الله جل وعلا إذا أخبر عما سيكون فخبره صادق لا يتخلف أبدا كأنه قد وقع وكان، وهذا كثير جدا في الكتاب العزيز، وتحته معان أرق من النسيم .

١١- **الموضع الثاني للقراءات في هذه الآية:** في قوله جل جلاله " **وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً** " (الكهف٤٧) .

في هذه الجملة ثلاث قراءات، قراءة متواترة، وقراءتان من الشواذ[1]:

١- " **وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً** " قراءة العشرة وهي المتواترة فقط .

٢- " **وَتُرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً** " قراءة أبي رجاء، وهي قراءة شاذة.

٣- " **وَتُرَى الْأَرْضُ بَارِزَةً** " قراءة عيسى وعمرو بن العاص وابن السميفع وأبي العالية، وهي قراءة شاذة .

وبين القراءتين الأولى والثانية اتحاد في أن الخطاب فيهما لكل مخاطب، وإن افترقتا في أن المخاطب فى القراءة الأولى " **وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً** " هو الذى يرى بروز الأرض في هذا اليوم بنفسه دون أن يُرِيَه ذلك المشهدَ أَحَدٌ، وفي القراءة الثانية " **وَتُرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً** " ليس المخاطب هو الرائى بنفسه بل يُرِيهِ ذلك غَيرُه كالملائكة، ونُحَصِّلُ من القراءتين أن المخاطب لابد أن يَرَى الأرضَ بارزةً يوم القيامة – أى ظاهرة خالية مما عليها مما يمنع الرؤية كالجبال ونحوها – لابد أن يرى المخاطَبُ الأرضَ كُلَّها أقصاها وأدناها أوَّلَها وآخِرَها؛ لا يَخْفَى عليه من رؤيتها شيءٌ؛ كأنها في عينيه دار أو كأنها في يديه كُرَةٌ، قال أبو تمام:

أطَل على كِلاَ الأفقين حتى ... كأنَّ الأرضَ في عينيه دارُ

وقال ابن الرومي:

أحَاطَ علماً بكلِّ خافيةٍ ... كأنما الأرضُ في يديه كُرَهْ

وهذه الرؤية التي تخيلها الشاعران الكبيران – وإن كانت في الدنيا ضربا من المُحال – إلا أنها ممكنةٌ يوم القيامة؛ لأن البصر سيكون غيرَ البصر، سيكون حديدا، كما قال جل وعلا " **لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** " (سورة ق٢٢) .. لابد أن يرى المخاطب هذا المشهد، إما أن يراها بنفسه كما في القراءة المتواترة "**وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً**"، وإما أن يُرِيَهُ إياها الملائكة كما في القراءة الشاذة " **وَتُرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً** "، المهم أن

---

(١) ينظر البحر المحيط ١٨٧/٧ والدر المصون ٧/ ٥٠٣ .

رؤية المخاطب ذلك أمرٌ حَتْمِيٌّ لازم، وقِسْمَةُ العقلِ تقول إنه لاثالث لهذين القسمين حال الرؤية والنظر إلى أي شيء .

أما القراءة الثالثة " وَتُرَى الْأَرْضُ بَارِزَةً " وهي قراءة شاذة، ففيها لمحة أخرى، وهي أن الأرض في هذا اليوم لابد أن تُرَى وهي بارزة لا شيء عليها يحجب جانبا منها أو ركنا أو زاوية من زواياها عن الرؤية، هذه القراءة تتفرغ لذلك ولا تشغل السامع والقارئ بشيء آخر، لا تشغل السامع والقارئ بالرائي الذى سيرى هذا المشهد ولابمَنِ الذى سيُرِي المخاطبَ هذا المشهد، المهم الذي تُرَكِّزُ عليه هذه القراءةُ هو الحَدَثُ ذاتُه وهو رؤية بروز الأرض يوم القيامة، وبالجمع بين هذه القراءة والقراءتين السابقتين يَتَحَصَّلُ أن المخاطَبَ لابد أن يَرَى بُرُوزَ الأرض يوم القيامة، وأن الأرض ذاتها لابد أن تُرَى يومَ القيامة بارزةً، وإذا كان هذان الأمران حتما مقضيا على الأرض وعلى من يراها اكتملت الصورة وتمت ولم يَعُدْ هناك زيادةٌ لِمُسْتَزِيد. والله تعالى أعلم .

١٢- **<u>الموضع الثالث</u> للقراءات في هذه الآية:** في قوله جل جلاله **"وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً "** (الكهف٤٧)، فيه ست قراءات، ويمكن تصنيفها حَسْبَ الفاعل ثلاثة أصناف:

الصِّنْفُ الأول: ما كان فاعل الفعل " نُغادِر " ضميرا عائداً على ذي الجلال جل وتقدس على جهة الإسناد الحقيقي، وهي [(١)]:

أ- " **فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً** " قراءة العشرة، وهي القراءة المتواترة فقط.

ب- " **فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً** " قراءة أبان بن يزيد عن عاصم، قراءة شاذة .

ج - " **فَلَمْ نُغْدِرْ مِنْهُمْ أَحَداً** " قراءة الضحاك، قراءة شاذة .

ويحسن وضع هذه القراءات على هذا الترتيب السابق؛ لأنها كلها مبنية للفاعل، والإسناد فيها حقيقي، والفاعل فيها هو الضمير المستتر العائد على ذي الجلال سبحانه، وفي هذا دلالة على أنه سبحانه هو الذي يَتَوَلَّى ذلك

---

(١) ينظر البحر المحيط ١٨٧/٧ والدر المصون ٥٠٥/٧ .

بنفسه، فهو الذي يحشرهم على جهة الحصر والاستقصاء، وهذا مفهوم من قوله " وحشرناهم " بإسناد الفعل إلى الضمير العائد إلى ذي العظمة، وإذا قال الله تعالى "وحشرناهم " فإن هذا يُفْهَمُ منه ضِمْنًا أنه استقصاهم جميعا ولم يترك منهم أحدا؛ ولذا جاءت جملة " فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً " توكيدا لهذا المعنى، وكما أُسْنِدَ الفعل في " وحشرناهم " إلى الضمير العائد إلى ذى العظمة، أُسْنِدَ الفعل المؤَكِّدُ له " نُغادِرْ " إلى الضمير العائد إلى ذي العظمة، وهذا تناسق وتناسب .

ومع اتحاد هذه القراءات الثلاث في إسناد الفعل إسنادا حقيقيا إلى الضمير العائد إلى ذي العظمة سبحانه، إلا أن في كل قراءة لَمْحَةً دَالَّةً تَنْفَرِدُ بها:

أ- فقراءة " **فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً** " قراءة العشرة، تجري على طريق التكلُّم، والمتكلم فيها هو الله جل جلاله، فهو الذي يقول عن نفسه " **نُسَيِّرُ الْجِبَالَ – وَحَشَرْنَاهُمْ – فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً** "، وهذا تناسب تام.

ب- وقراءة " **فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً** " قراءة شاذة، بياء الغيبة جاءت على أسلوب الالتفات من التكلم في قوله " **نُسَيِّرُ الْجِبَالَ – وَحَشَرْنَاهُمْ** " إلى الغيبة في قوله " **فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً** "؛ لأن الفاعل هنا ضمير مستتر تقديره "هو" يعود على ذي الجلال، وفي الالتفات حِسٌّ جديد، وكأن السامع لمَّا سَمِعَ إسناد الأفعال إلى ضمير العظمة في قوله "نُسَيِّرُ الْجِبَالَ – وَحَشَرْنَاهُمْ " بادر هو بالنطق والإخبار عن ربه فقال " فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً "، أى لم يغادر الله تعالى منهم أحدا، فكأن الحق جل وتقدس ترك مساحة لانفعال السامع والقارىء، وجاءت هذه القراءة ناطقة بذلك على لسان السامع والقارىء، وهذا من أسرار الالتفات هنا، والله تعالى أعلم .

ج – وقراءة " فَلَمْ نُغْدِرْ مِنْهُمْ أَحَداً "قراءة شاذة، تفترق عن القراءتين السابقتين؛ لأنهما من الفعل الرباعي غادر يُغادِرُ مُغادَرَةً، أما هذه فهي من الفعل الرباعي

أَغْدَرَ الشيءَ يُغْدِرُه إغْدَارًا بمعنى تركه وبَقّاه وراءه (١)، ولاريب في أن " نُغْدِرْ " أَخَفُّ وأَسْرَعُ نُطْقًا من " نُغادر " لأن " نُغْدِرْ " أربعة أحرف و"نغادر " خمسة، كما أن ألف المد المتوسطة في "نغادر " أطالت الفعل ومَطَلَتْهُ، وفي هذا المد دلالة على شدة الاستقصاء والإحصاء حتى لايَبْقَى أحدٌ إلا وحشره الله تعالى، و"نُغْدِرْ " فيها سرعة وخفة، ويمكن الجمع بين هذين المعنيين المتضادين بأن الأول دال على دقة الاستقصاء والإحصاء وبلوغ الغاية في ذلك، والثاني كأنه احتراس مما يوهمه بلوغ الغاية في الاستقصاء والإحصاء من طول المدة، فأفاد الجمع بين القراءتين دقة الاستقصاء والإحصاء مع السرعة والخفة؛ لأن ذلك فِعْلُ القَوِيِّ القادرِ جل جلاله . والله تعالى أعلم .

الصِّنْفُ الثاني: إسناد الفعل إلى الضمير العائد على الأرض إسنادا مجازيا، وذلك في قراءتين من الشواذ:

القراءة الأولى: "فَلَمْ تَغْدِرْ مِنْهُمْ أَحَداً" على وزن " تَضْرِب " قراءة شاذة (٢).

القراءة الثانية: " فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً " قراءة قتادة وأبان بن يزيد عن عاصم، وهي قراءة شاذة (٣).

هذا الصنف يفترق عن الصنف السابق في أمر مهم جدا، وهو الإسناد؛ لأن إسناد الفعل في الصنف السابق إلى الضمير العائد على الله جل جلاله، وهو إسناد حقيقي، أما هذا الصنف فأُسْنِدَ فيه الفعلُ إلى الضمير العائد على الأرض، أى أن الأرض هي التي لم تُغَادِرْ منهم أحدا، الأرض هي الفاعل الذى يستقصي كل من عليها ولا يُبْقِي منهم أحدا، فإسناد الفعلين " تَغْدِرْ – تُغَادِرْ " إلى الضمير العائد على الأرض مجاز عقلي عَلاقَتُهُ " المكانية " كما سبق في قراءة " وَيَوْمَ تَسِيْرُ الْجِبَالُ "، وهي قراءة ابن محيصن، وقراءة " وَيَوْمَ يَسِيْرُ الْجِبَالُ "، وهي قراءة الهمذاني عن أبي عمرو، وكلتا القراءتين شاذة،

(١) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة " غدر"، ط دار المعارف .

(٢) شواذ القراءات للكرماني ص ٢٩٠ .

(٣) ينظر الدر المحرر الوجيز ٥٢٠/٣ والبحر المحيط ١٨٧/٧ والدر المصون ٥٠٤/٧

فالأرض استجابت لأمر ذي الجلال وصارت هي الفاعل الذي يستقصي مَن عليها استقصاءً، ويجمعهم جمعا، دون أن يغادر منهم أحدا .. جبالٌ تَسِيرُ من نفسها استجابةً لأمر الله جل جلاله .. وأرضٌ تصول وتجول بمن على ظهرها للحشر حتى لا تُبْقِي منهم أحدا؛ استجابة لأمر الله جل جلالـه .. هذا حِسٌّ جديد، وتصوير غريب جديد .. وهو مُصَوِّرٌ لما يكون يوم القيامة من اضطراب وتغيير وانقلاب .

وبين هاتين القراءتين الشاذتين العائد الضمير فيهما على الأرض فرقٌ في صيغة الفعل " تَغْدِرْ – تُغَادِرْ "، وسبق أنَّ " تُغَادِرْ " المد فيها بالألف المتوسطة يناسب الاستقصاء والإحصاء و" تَغْدِرْ " دال على سرعة ذلك الإحصاء والاستقصاء، وأن الجمع بينهما يدل على دقة الاستقصاء والإحصاء مع السرعة . والله تعالى أعلم .

الصِّنْفُ الثالث: فيه قراءة واحدة شاذة، وهي قراءة " **فَلَمْ يُغَادَرْ مِنْهُمْ أَحَدٌ** " قراءة قتادة وأَبَان ابن يزيد وأبو بكر عن عاصم، وهذه القراءة تجمع مَزِيَّتَيْنِ تَفَرَّقَتَا في الصِّنْفَيْنِ السابقين؛ لأن بناء الفعل " يُغَادَرْ " للمفعول ورفع " أَحَدٌ " على أنه نائب فاعل، هذا البناء يلزم عنه حذف الفاعل، والفاعلُ المحذوفُ يَحْتَمِلُ أن يكون مرادا به الحق جل وتقدس كما في القراءات الثلاث في الصنف الأول، ويحتمل أن يكون مرادا به الأرض كما في قراءتى الصنف الثاني؛ وبهذا تشمل قراءة "فَلَمْ يُغَادَرْ مِنْهُمْ أَحَدٌ " جميع القراءات الخمس السابقة.

وفي هذه القراءة لمحة أخرى، وهي أنها تركز على عدم بقاء أحد عند قيام الساعة وحشر الناس جميعا؛ ولذا حُذِفَ فاعل "يُغَادَرْ" وبُنِيَ الفعل للمفعول ليتفرغ الفعل للدلالة على عدم مغادرة أحد، دون أن ينشغل الذهن بالبحث عن فاعل الفعل، أهو الله جل جلاله أم الأرض، فالمهم النتيجة وهي أنهم لَمْ يُغَادَرْ مِنْهُمْ أَحَدٌ . هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه أمهات المؤمنين وعلى الصحابة والتابعين أجمعين .

كتبه أبو أحمد / سلامة جمعة علي داود
دسوق في شهر المحرم ١٤٤١ هـ مارس ٢٠١٩ م .

فهرس الآيات القرآنية موضوع الدراسة

م	الآية ورقمها واسم السورة	رقم الصفحة
١	"كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ " (الكهف ٥)	٥
٢	"وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ "(الكهف ١٨)	٧
٣	"قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً" (الكهف٢١)	١٣
٤	" وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً" (الكهف ٢٦)	١٣
٥	" وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ " (الكهف ٢٨)	١٥
٦	"وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً" (الكهف٣٦)	١٦
٧	"وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ" (الكهف٤٣)	١٨
٨	" هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ " (الكهف ٤٤)	١٩
٩	" فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ "(الكهف٤٥)	٢٤
١٠	" وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ " (الكهف٤٧)	٢٦
١١	" وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً " (الكهف٤٧)	٢٩
١٢	" وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً " (الكهف٤٧)	٣١
	فهرس الآيات القرآنية موضوع الدراسة	٣٥